

المساجلة الدمشقية

المساجلة عبارة عن حوار شعري بين طرفين، وقد جرت هذه المساجلة الشعرية بيني وبين صديقنا الشيخ عبد العزيز العويد عندما سافر إلى دمشق الشام ليصوّر برنابجا له هناك، فلما أخبرني صاحبي بسفروه ودعته بقصيدة من البحر الطويل أرسلتها إليه، أختار لكم من أبياتها قولي:

تنشق عير الشام عني صويجي
وأبلغ دمشقاً عن هوي العجائب
إذا ما دخلت الشام يا ابن عويد
فبلغ سلامي رفقتي والأقارب
أجل في رباها ناظريك ومرجها
فما أطيب الوادي وتلك المضارب
تري للمعالي في رباها مدارس
وفي كل ساح للكمامة ملاعبنا
إذا ما دخلت الشام عرج على اللوى
سقى الله ذاك الربيع سحبا سواكبا
حوى العلم في جنبه والمجد والعلا
حوى أنجماً زهراً وشهباً ثواقبا

فلما وصل صاحبي الشام، واشتم أرجحها، وطاب له المقام، أرسل إلي قصيدة من هناك تقول أبياتها:

يا ساكبي مصر فيكم ساكن الشام ...
يكايد الشوق من عام إلى عام
الله في رمق أودى السقام به ...
كم ذا يعلل فيكم نضو أسقام
ما ظنكم ببعيد الدار منفرد ...

حَلِيفَ هَمٍّ وَأَحْزَانٍ وَآلَامٍ

يَا نَارِجِينَ مَتَى تَدُنُّو التَّوَى بِكُمْ ...

حَالَتْ لِبُعْدِكُمْ حَالِي وَأَيَّامِي

من ذا يلوم أخا وجدٍ بجنبكم ...

فأبعد الله عُدَّائِي وَوَلَّوَّامِي

في ذمة الله قومٌ ما ذكركم ...

إلا ونمَّ بوجودي مدمعي الدامي

قومٌ أذابَ فؤادي فرطُ حبِّهم ...

وقد ألمَّ بقلبي أيَّ إمام

ولا اتخذت سواهم منهم بدلا ...

ولا نقضت لعهدي عقد إبرام

ولا عرفت سوى حبي لهم أبدا ...

حُبًّا يعبرُ عنه جفني الهامي

والقصيدة من البحر البسيط وهي للشَّيخ تقي الدين ابن تَمَّام قالها جواباً على قصيدة

للقاضي شهاب الدين محمود، وكان قد أرسله إليه مصر يقول فيها:

هل عند من عندهم برئي وأسقامي ...

علمٌ بأنَّ نَوَاهُم أصلُ آلامي

وأن جفني وقلبي بعد بعدهم ...

ذا دائم وجده فيهم وذا دام

بانوا فبان رقادي يوم بينهم ...

فلست أطمع من طيف بإمام

كتمت شأن الهوى يوم النوى فنى ...

بسرهِ من دموعي أي نمام

كانت ليالي بيضا في دنوهم ...

فلا تسل بعدهم ما حال أيامي
وليس أصل ضنى جسمي النحيل سوى ...
فرط اشتياقي إلى لقيا ابن تمام
مولى متى أخل من براء برؤيته ...
خلوت فردا بأشجاني وأسقامي
نأى ورؤيته عندي أحب إلى ...
قلبي من الماء عند الحائم الظامي
وصد عني فلم يسأل لجفوته ...
عن هائم دمه من بعده هام
يا ليت شعري ألم يبلغه أن له ...
أخا بمصر حليف الضعف مذ عام
ما كان ظني هذا في مودته ...
ولا الحديث كذا في ساكني الشام

فَلَمَّا وَصَلْتَنِي هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ دِمَشْقٍ، أَعْجَبْتُ فِيهَا أَيَّمَا إِعْجَابٍ
وَزَادْتَنِي وَجْدًا عَلَى وَجْدٍ، وَكَانَ لَا بَدَّ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهَا بِقَصِيدَةٍ جَوَابِيَّةٍ تَكُونُ عَلَى وَزْنِهَا وَقَافِيَتِهَا لِتَكْتُمَلَ الْمَسَاجِلَةُ،
فَجَرَدْتُ عِنْدَهَا سِلَاحِي _ أَعْنِي: قَلَمِي _ لِأَنَّ الْحَرْبَ سَجَّالٌ كَمَا قَالُوا، وَمِنْ هَذَا أَخَذَ الشُّعْرَاءُ اسْمَ
مَسَاجِلَتِهِمْ، وَرَدَدْتُ عَلَى أَخِينَا بِقَصِيدَةٍ اخْتَارُ مِنْهَا قَوْلِي:

هَيَّبْتَ خَلِيَّ تَبَارِجِي وَأَسْقَامِي
فَأَسْبَلَ الدَّمْعُ مِنْ جَفْنِي وَأَقْلَامِي
دُرٌّ عَلَى الْحَدِّ مَنُثُورٌ لِيُبْعِدَهُمْ
شِعْرٌ عَلَى الطَّرْسِ مَسْبُوكٌ بِإِحْكَامٍ
مَا قِيَمَةُ الْعَيْنِ لَا تَبْكِي لِذِكْرِكُمْ
أَوْ قِيَمَةُ الشَّعْرِ لَا يَشْدُو بِأَلَامِي
مَا أَجْمَلَ الشَّعْرَ فِي ذِكْرَاكُمْ عَيْقَا

وَأَنْفَسَ الدَّمْعَ فِي وَجْدٍ وَهَيْبِي

وَجَدُّ أَصَابَ الْقَلْبَ فِي مَقَاتِلِهِ

بِسَهْمِ الْحَاظِ مِنْ غَيْرِ مَا رَامَ

لِبُعْدِ يَوْمِ شَكَى خَلِيِّ الْفِرَاقِ فَمَا

تَقُولُ فِي هَجْرِ أَيَّامٍ وَأَعْوَامِ

عند هذا الحد انتهت المساجلة الشعرية الدمشقية ، راجيا أن أكون قد أفدتكم وأمتعتكم.

أحمد إبراهيم الحمد